الخاتمة

وبعد، فهذه محاولة في تتبع مفهوم البطوليّ في أساطير الشرق القديم، وملاحمه، وأشكال تجلّياته، وكانت غاية البحث التأكّد من أنّ إنسان بلاد الرافدين أدرك مفهوم البطوليّ، وأهميّة وجوده داخل النصّ، وفي وعيه الذاتيّ، مع الإشارة إلى أنّ أدب الشرق القديم الذي تميّز بقدمه الزمني، قياساً بأدب الشعوب الأخرى، كان أدباً ناضجاً، وحاملاً للقيم الإنسانيّة الشاملة الموجّهة إلى جمهور الناس كي يتمثّلوه، وقام بدوره التربوي، إضافة إلى دوره الأساسي المتمثل بمنح الناس المتعة والمعرفة.

أكّدت الدراسة أنّ الفروق بين البطوليّ، وبين البطل التراجيديّ تتمثل في أن البطوليّ: شخصيّة إيجابيّة بامتياز، وهي تعمل ما بوسعها كي تجعل الناس أكثر تفاؤلاً، وإيماناً بأنّ ما يحلمون به يمكن تحقيقه، ولذلك فهي تثير في نفوس المتلقّين شعوراً بالعزّة، والأنفة، إضافة إلى الإحساس بإمكانية تحقيق رغباتهم وأحلامهم.

على حين أنّ البطل التراجيديّ: يثير في الناس التعاطف، والإحساس بالشفقة، وذلك بالنظر إلى النتيجة التي سيؤول إليها مصيره. ذلك أنّ البطل التراجيديّ لا بدّ أن يسقط بسبب خطأ ما، وهذا ما يدفع بالمتلقّين إلى الشعور بخيبة الأمل والانكسار.

كما أكّدت الدراسة أهميّة وجود النموذج المثاليّ، في أدب الشعوب بعامّة، وأدب الشرق القديم بخاصة، وأنّ هذا النموذج هو ضرورة نفسيّة، وأخلاقيّة، وتربويّة في آن، لأنّ النموذج البطوليّ بما يحمل من قيم إيجابية، كان يشكّل المثال الجماليّ، والأخلاقيّ الضروريين اجتماعياً، وذلك من أجل إحداث تغيير ما، في البيئة الثابتة لتفكير مجتمع ما.

لم يتتبّع البحث المراحل التي تغيّر فيها اسم البطل، من "أوتوبشتيم" في السومريّ إلى "دمّوزي" في الأكادي وتمّوز.... وأدونيس... وبعل. إذ لم يكن من

أهداف البحث تقديم دراسة عن المراحل التاريخيّة التي وجد فيها البطوليّ، ولكن كان هدفه البحث عن القيم التي يحملها البطوليّ، ويعلّمها للناس.

فصل البحث بين الأسطورة والملحمة، على الرغم من التداخل بينهما معتمداً على الفكرة الجوهريّة التي تميّز كلاً منهما من الآخر، فحين تكون إرادة الآلهة هي الطاغيّة والمسيطرة على إرادة البشر، ويصور النصّ الأصول الأولى لبداية الكون رجحنا تسمية الأسطورة، وحين يشعّ أمل من بعيد يرسم الملامح الأولى للمحاولة الإنسانيّة الأصيلة في امتلاك الحريّة الذاتية، أي: حين يحاول البطوليّ التعبير عن الحلم الإنسانيّ من جهة، ويمتلك إرادته من جهة أخرى، ويدور الموضوع الرئيس حول حاجات الإنسان النفسيّة، والفكريّة، والحياتيّة سمّينا النصّ بالملحمة.

أشار النصّ إلى أنّ دور الأنثى في الأسطورة دوراً رئيس، وهي تدور في فلك الحوار مع الآلهة، والتدخل في صنع القرار الإلهي، وأحياناً تذهب أبعد من ذلك حين تقرّر عدم الانصياع للقرارات الإلهيّة، والدخول في صراع من أجل إسقاطها، على حين كان دورها في الملحمة أقلّ تأثيراً، لأنّها مارست الطابع الإنسانيّ للمرأة حين جسّدت المشاعر التي تحملها الأنثى في حياة الناس كأم، وأخت، وحبيبة، وفي أعظم تجلّياتها الفكرية يمكن أن تكون مفسرة للحلم أو ناصحة للبطل عندما تجده في مأزق ما. (أم جلجامش، وبنت الحانة).

أكّد البحث أنّ النموذج الجماليّ المثاليّ (البطوليّ) هو ضرورة جماليّة واجتماعيّة، وأن وجود هذا النموذج ضرورة يجب أن يخلق ويقدّم للناس حتى ولو كان غير موجود.

وبعد فهذه دراسة إن تكن قد أخطأت فيكفيها شرف المحاولة والريادة، وإن تكن قد أصابت في موضوعها فإنّها ترجو، وتتوخّى من الباحثين الآخرين تكملة مشوار دراسة المفاهيم الجماليّة في أدب الشرق القديم، وتبيان عظمة هذا الأدب، وأهميّته.